خذوا زينتكم

لكل حادث حديث .

وقد أمرنا ربنا تبارك وتعالى بأخذ الحذر حال الحرب ، وبأخـذ العـدة عند القتال ، وبأخذ الأسلحة حال الخوف ، وبأخذ الزينة عند كـل صـلاة ، وهذا الأخير ما سأكتب عنه في هذه العجالة .

إن المتأمل لأحوال بعض المصلين يجد عجباً .

فهذا يأتي إلى المسجد بقميص نومه ، وذاك بزي عمله ، وثالث بثياب مهنته ، وآخر بملابس الرياضة غير آبـهين بما سيُقدمون عليه – وهو الوقوف بين يدي الله سبحانه – بينما تراهم جميعاً يلبسون أفضل ثيابـهم عند حضور مناسبة أو إجابة وليمة ، ولو دُعي أحدهم لمقابلة مسؤول – أياً كان هذا المسؤول – لأخذ كامل زينته ولبس أجمل ما عنده من الثياب ، وتـهندم أحسن هندام ، ووقف أمام المرآة ، واستشار أخاه أو صديقه وتعطّر بأزكى العطور وأرقاها . كل ذلك ليبدوا جميلاً لمن رآه ، ولا غرابة في ذلك فالله جميل يحب الجمال . والنفس تحب التجمل وتحبِّـذه .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بأخذ الزينة عند كلّ صلاة ، فقال : (يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ)

قال ابن كثير : ولهذه الآية وما ورد في معناها من السُّنّة يستحب التجمّل عند الصلاة ، ولاسيما يوم الجمعة ويوم العيد ، والطيب لأنه من الزينة ، والسواك لأنه من تمام ذلك ، ومن أفضل اللباس البياض .

قال نافع : تخلفت يوما في علف الركاب ، فدخل عليّ ابـن عمـر ، وأنا أصلي في ثوب واحد ، فقال لي : ألم تُكْسَ ثوبين ؟ قلـت : بلـى . قال : أرأيت لو بعثتك إلى بعض أهل المدينة ! أكنت تـذهب فـي ثـوب واحد ؟ قلت : لا . قال : فالله أحق أن يُتجمّل له أم الناس ؟

وعن نافع قال : رآني بن عمر ، وأنا أصلى في ثوب واحد ، فقال : ألم أكسك ؟ قلت : بلى . قال : فلو بعثتك كنت تذهب هكذا ؟ قلت : لا . قال : فالله أحق أن تتزيّن له .

ولا يُلام المسلم على أخذ زينته فليس لبس المرقع قُربة ، ولا ارتداء الثياب البالية سُنّة .

والتّجمّل مطلوب على كلّ حال ، ابتداءً من التّجمل للصلاة والوقوف بين يدي الله ، إلى التجمّل للمناسبات ، والتّجمّل لزيارة الإخوان ، والتّجمّل للزوجة ، كما قال ابن عباس : إني أحب أن أتـزين للمرأة كما أحب أن تتـزين لي المرأة ؛ لأن الله تعالى يقول : (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) [□□ □□□□ □□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□ □□ □□□ □□□□ □□ □□□□]

وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود □□ □ □□□□ □ □□ أنه قال : أتيت النبيّ □ □□ □□□□ □ □□□□ □□ □□ وعنده مالك بن مرارة الراوي فأدركت

من آخر حديثه وهو يقول : يا رسول الله قد قُسِمَ لي من الجمال ما ترى ، فما أحب أن أحدا من الناس فضلني بشراكين فما فوقهما ، أفليس ذلك هو البغي ؟ قال : لا ، ليس ذلك بالبغي ، ولكن البغي من بطر - قال أو - قال : سفه الحق وغمط الناس . والشراك هو سير النعل .

وعند أبي داود عن أبي هريرة أن رجلا أتى النبي ﷺ - وكان رجلا جميلا - فقال : يا رسول الله إني رجل حُبِّبَ إليَّ الجمال ، وأعطيت منه ما ترى حتى ما أحب أن يفوقني أحد إما قال بشراك نعلي وإما قال بشسع نعلي ، أفمن الكبر ذلك ؟ قال : لا ولكن الكبر من بطر الحق ، وغمط الناس .

وكان رسول الله ﷺ يتجمّل للوفود .

قال الإمام البخاري – رحمه الله – باب التجمل للوفود .

ثم ساق بإسناده عن ابن عمر قال : وَجَدَ عمر حُلة استبرق تُباع في السوق ، فأتى بـها رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ابتع – أي اشتر – هذه الحلة فتجمل بـها للعيد وللوفود . فقال رسول الله ﷺ : إنما هذه لباس من لا خلاق له . الحديث .

وإنما أنكر عليه نوع الحلّة لا التّجمل للعيد والوفد .

وقال البراء رضي الله عنه : كان النبي ﷺ مربوعا ، وقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت شيئا أحسن منه . متفق عليه .

وليست الحلّة المذكورة هنا حمراء خالصة .

وفي قصة مناظرة ابن عباس للخوارج ، قال ابن عباس : فخرجت إليهم ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن . قال أبو زميل : كان بن عباس جميلا جهيراً . قال ابن عباس : فأتيتهم وهم مجتمعون في دارهم قائلون ، فسلّمتُ عليهم فقالوا : مرحبا بك يا ابن عباس . فما هذه الحلة ؟! قال : قلت : ما تعيبون عليّ ، لقد رأيت على رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الـحُلل .

قال صالح بن أبي حسان : سمعت سعيد بـن المسـيب يقـول : إن الله طيب يحب الطيب ، نظيـف يحـب النظافـة ، كريـم يحـب الكـرم ، جـواد يحــب الجــود ؛ فنظفــوا أفنيتكــم ولا تشــبهوا بــاليهود . رواه الترمذي .

وجاء عبد الكريم أبو أمية إلى أبى العالية وعليه ثياب صوف ، فقال أبو العالية : إنما هذه ثياب الرهبان ! إن كـان المسـلمون إذا تـزاوروا تجملوا . رواه البخاري في الأدب المفرد .

ويتأكّد التّجمّل إذا كان يوم الجمعة ، فقد استفاضت الأحـاديث فـي هذا الباب ، وهي مشهورة معلومة – إن شاء الله - .

قال ابن أبي ليلى : أدركت أصحاب محمد ننن نننن نننن نننن **من أصحاب بدر وأصحاب شجرة إذا كان يوم الجمعة لبسوا أحسن ثيابهم ، وإن كان عندهم طيب مسّوا منه ، ثم راحوا إلى الجمعة .**

فإذا كان الأمر كذلك فإنه يجب تعظيم شعائر الله ، فلا تؤتى المساجد إلا برائحة طيبة زكية ، ولباس نظيف ساتر – وسواء في ذلك الكبار والصغار - ، لا أن يأتي المصلِّي إلى المسجد وكأنه خارج إلى البقالة أو داخل غرفة نومه !

إن تعظيم شعائر الله – جل وعلا – مطلب شرعي ، وضرورة مُلِحّة ، ذلك أن المساجد بيوت الله وتعظيمها من تعظيم من تُنسب إليه .

(ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)

كتبه

عبد الرحمن بن عبد الله السحيم

ـ 3 ـ